الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الأدب المصري أدب عربي

كتب صديق الدكتور عبد الحميد يونس مقالا في صحيفة « المصري » يوم الخميس الماضي، عنوانه « تراثنا الأدبي » نعى فيه إهمالنا الآثار الأدبية التي خلفها بعض أعلام الأدب في العصر الحديث، ثم تحدث عن الفكرة التي دعت إلى انشاء إدارة لإحياء التراث الأدبي في مرافق الثقافة بوزارة المعارف، فأبدى خشيته من « أن يكون القوامون على الثقافة العامة في الدولة قد تورطوا في الخطأ المنطقي الذي يقع فيه كثيرون من المشتغلين بتوجيه الحياة العقلية، وهو أن مقياس الأصالة في الفن والفكر هو القدم أولا، والعروبة ثانيا» وندد بعناية ادارة التراث التي تابعت فيها « المشتغلين بالحياة العقلية » — بالأدب العربي القديم دون الأدب المصري بعد الفتح الاسلامي كما ندد باهمال الأدب المصري الحديث

والاهتمام بالأدب المصري قديمه وحديثه لا يماري في وجوبه أحد، ولكنني أحب عندما ندعو إلى هذا الاهتمام، أن نفعل دون أن نستشعر العصبية الاقليمية، فقد قامت هذه العصبية للادب المصري منذ زمن في بعض الأذهان، وكان مما صاحبها إنشاء كرسي الادب المصري في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ولم يصنع هذا « الكرسي » شيئا جديدا في هذا السبيل إلى الآن، ولعل ذلك راجع إلى الشعور بأن فكرة الاهتمام الجزئي الزائد غير طبيعية لأن الأدب العربي، وفي جملته الأدب المصري، وحدة متماسكة لا تتزايل أجزاؤها.

وقد لمحت تلك العصبية في مقال صديقنا الدكتور عبد الحميد يونس، وهي نزعة أعرفها فيه. وكنت قد قرأت الذي كتبه في مجلة « الأديب المصري » بعنوان « أدب أمة لا أدب لغة » عزز فيه « الفكرة المصرية » وقال:

« مضى الزمن الذي كان الأدب فيه يدرس ويتذوق على أنه ثمرة لغوية لا أكثر ولا أقل، وانطمست النظرية القديمة التي كانت تحتفل بالصورة دون المصور، ولم يعد للفكرة الحرفية التي سيطرت على الآداب والفنون من السلطان ما كان لها في الماضي البعيد أو القريب» وهو يذهب بذلك إلى أن اهتمامنا بالأدب العربي غير المصري موجه إلى تذوقه كثمرة لغوية دون أن نحس بما يعبر عنه أو نتفعل بما يصوره، كأننا غرباء في الإحساس عن أهله!

والواقع أننا نحس الإحساس العربي العام ونشعر بالمشاركة الوجدانية لأولئك الأدباء المتقدمين الذين عاشوا في العراق والشام وغيرهما، ولا يقل شعورنا بهذه المشاركة عن شعورنا نحو أدباء مصر الذين عاصروا الدول الاسلامية التي قامت بها، بل أنا أزعم أن المشاركة الوجدانية في أدب الأولين أكثر منها في أدب الآخرين، لأن هؤلاء كانت تستهلك الزخارف اللفظية طاقاتهم ويشغلهم التكلف عن صدق التعبير والنفوذ إلى الأعماق

فالأدب العربي، قديما وحديثا، ليس أدب لغة مشتركة فقط، بل هو أيضا أدب أمة هي الأمة العربية. ولا أنكر الفوارق والسمات الاقليمية، ولكن الروح العام يصهرها جميعا في بوتقة العروبة.

فالأدب المصري — كما أرى وأشعر — جزء من كل، لا ينبغي له أكثر مما ينبغي لأي جزء آخر.

هواء وعلم.. تلك أصداء صيحة ... تغنت بها راياته وحمائله
سموا بها، فانها دليل مطنب ... من الجهل، ناءت بالضياء كلاكله
وذابت قيود العلم، واندك سجنه ... وراحت لكل الشعب تسقى هياكله

أبا الفكر، لم تلحق شعاعك مرة ... أواخره طول المدى وأوائله،
تنزلته فجراً، ولفته ضحى ... أضاءت لأحرار العقول مشاعله
فمن شاء صحوا للشعوب ونهضة ... فهذا طريق المجد، هذى دلائله
رعى الله ما أسديت للنيل من هدى ... وبارك عهداً خلدته شمائله
وأبقى يد الفاروق نوراً وقوة ... بها الشعب يجنى كل ما هو آمله

محمود حسن اسماعيل

كما أنه يجب الاهتمام به مثل غيره . والحق أنه لم يكن معنيا بمثل غيره . ولكن الحق أيضا أن ذلك لم يكن سببه أن مقياس الجودة « العروبة » كما يقول الدكتور عبد الحميد ، وإنما هو راجع إلى أن النهضة الأدبية الحديثة قامت على أسس منها الرجوع إلى أدب المتقدمين للخروج من ركاكة العصور المتأخرة وهزال آدابها ، فاتجهت حركة الإحياء إلى الاداب الأولى التى كانت قبل التكلف والركة ، وخاصة آداب العصور الزاهرة كالعصر العباسى فى بغداد .

وتصور أى مهزلة تكون لو قامت الان فى العراق مثلا حركة أدبية ترمى إلى الإعراض عن الأدب العربى الحديث فى مصر ، لأن الأدب العراق فى هذا العصر أولى بالعناية منه ! أليس هذا كذلك ؟

على أن الفكرة العربية العامة أدنى إلى الفكرة العالمية فى الأدب والفن ، فهل يريد هؤلاء المواطنون أن ننطوى على أنفسنا أدبيا ونتخلف عن ركب العالم ؟ أو يريدون أن نربح العروبة جانبا ونمشى فى الركب . . ؟

ولست أدرى ماذا يضيرنا إذا نحن درسنا الأدب المصرى وأحيينا آثاره على أنه أدب عربى ، فى هدوء دون أن نشغل أذهاننا بالفكرة الانفصالية ونتعب أعصابنا بالعصبية الاقليمية ؟

الشاعرة « ن . ط . ع »

قرأت باحدى الصحف اليومية فى يوم من هذا الأسبوع نعى فتاة باسمها الكامل ، أعرف أنها الآنسة « ن . ط . ع » الشاعرة التى نشرت لها « الرسالة » قصائد وقطعا من أشعارها ، ونشرت لها صحيفة البلاغ كثيرا ، كما نشرت لها « الأهرام » وكانت قد استرعت انتباهى فعقبت على بعض شعرها فى العام الماضى ، تعقيبا ختمته بما يلى : « والفتاة الآنسة وإن كانت فى أول الطريق إلا أنها على الجادة تهديها إلى الغاية موهبة صادقة مخلصة ، فهيا يا آنسة ن . من يدرى . . »

أجل ، من يدرى أنها كانت تسير إلى الغاية المحتومة بهذه السرعة ، وكنا نرجو أن يكون سيرها إلى هدف آخر لتحقيق ما كانت تصبو إليه من صيت وخلود فى عالم الشعر ، كما كانت تقول :

هل يأخذ القبر
منى سوى جسمى

كشكول الأسبوع

▫ وافق البرلمان على أن يكون اختيار عمداء الكليات بالجامعة من بين أقدم خمسة من أساتذة الكلية ، من غير إجراء انتخابات بين الأساتذة . وقد رأى ذلك معالى وزير المعارف تلافيا لما ينشأ عن الانتخابات من انقسامات وخصومات غير لائقة بهيئات التدريس فى الجامعات .

▫ قرر مجلس الوزراء فى اجتماعه الأخير ، إدراج مبلغ ثلاثين ألف جنيه فى ميزانية وزارة المعارف ، لإنشاء معهد فاروق الأول للدراسات الإسلامية فى مدريد عاصمة إسبانيا ، ولإنشاء معهد فاروق الأول للثقافة الاسلامية فى طنجة .

▫ وقرر المجلس فى هذا الاجتماع أيضا ، إيفاد الأستاذ أمين مرسى قنديل إلى تونس وبلاد المغرب ، لزيارة المكتبات العربية والحصول على المخطوطات النادرة ، وذلك لمدة ثلاثة أسابيع .

▫ وافق معالى وزير المعارف على إنشاء كرسيين بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، أحدهما لدراسة الآثار المصرية ، والآخر للدراسة الصحفية التى تشمل تاريخ الصحافة فى مصر وفى الخارج والفن الصحفى بشطريه النظرى والعملى أسوة بما هو متبع فى الجامعات الأوربية والأمريكية .

▫ من أنباء « كراتشى » أن حكومة الباكستان احتفلت فى يوم ٤ شوال بافتتاح كلية اللغة العربية ، وقد طلب المشرفون على الكلية من مصر موافاة الكلية بطائفة من الكتب فى اللغة وفى الدين .

▫ صدر كتاب « البوهيمية » للأستاذ السيد شوشة المحرر بأخبار اليوم ، وهو قصة تصور حياة البوهيميين من الأدباء والفنانين فى مصر .

▫ وصدر كتاب « من مذكرات فتاة القرن العشرين » للأستاذ محمود فهمى الموظف بالإذاعة المصرية ، وهو قصة طويلة تصور حياة الفتاة المصرية فى الفترة الحاضرة .

▫ قام المستشرق النمسوى الدكتور كارل شتولز بترجمة كتاب « رسالة الطير » لابن سينا إلى اللغة الألمانية ، ولقد أذاع راديو فينا فصلا منها مع تاريخ حياة ابن سينا .

والصيت والشعر لن يتركا اسمي
سأصير شاعرة من قادة الفكر
أنا لست ساخرة يا قلب من يدري

ولكن الموت أعجلها ، فاختطفها وهي على عتبة الخلود ، فطوى أملها الذي كانت تهفو على التطلع إليه ، وقضى على عالم من الإحساس المرهف كانت تنوء به ، فحطت حملها ونامت بجواره ، وليتها نامت قريرة بما كانت تؤمل من ترك اسمها وراءها يلمع في دنيا الأدب والشعر ، ولكن الموت أعجلها ولعله أطلعها على أن ما كانت تطمح إليه أمر باطل وسراب خادع .. من يدري !

لقد قرأت قصة هذه الفتاة فيما كانت تنشره من شعر ، كانت حبيسة « التقاليد » تطل على الحياة من بين قضبان سجنها ... تنظر بعين الأديبة الشاعرة إلى المجتمع الحافل الصاخب فتود لو شاركت الركب سيره ، ثم لا تلبث أن تثوب إلى ما أخذت به في تربيتها المحافظة ، فتقول :

ورجعت أدراجي أتجانب الناسا
في برجي العاجي أتذوق الكاسا

كأس من الطهر وهناءة البال
والفن والشعر في برجي العاجي

ولكن « البرج العاجي » كان مضروبا عليها في قسوة يظهر الألم منها بين السطور وإن أظهرت ميلها إلى الاعتصام به مطاوعة لما جرت عليه الأسرة من الحجاب وشدة التحرز . فكان الصراع دائرا في نفسها بين ذلك الحجاب وبين ألوان الحياة التي تدعوها إليها لا باعتبارها أية فتاة ، بل لأنها فنانة ، والفن يأبى الإسار .

لقد قلت في الكلمة التي كتبتها عنها : إنها في حاجة إلى مزيد من العناية من حيث إخضاع التعبير . ولما تنبهتها بعد ذلك ورأيتها تدور حول ذلك الصراع في نفسها لا تخرج عنه إلا قليلا ، عرفت أنها مشغولة بها عن تأمل ما عداه ، فكان ينقصها أيضا الآفاق الرحيبة التي تنتقل بينها . ولم يكن كل الأمر احتجابها ، وإن كان هو بعض الأمر بلا مراء ، فكان يمكن لو فرغت من ذلك الهم أو لو تحررت من تسلطه عليها كل التسلط أن تتصفح الحياة من حيث هي ومما تقرأ ، ولكن حتى هذا القدر حرمته لانشغالها بالتفكير في آلام نفسها ومنازعها القيود

ظلت شاعرتنا تكافح تلك النوازع النفسية ، تبثها تارة في شعرها ، وأحيانا تنطوي عليها ، وهي ترجو أن تجد من الشعر والصيت فيه ما يعوضها ، حتى كانت فاستلمت للمنية قيادها ، وإذا نحن نطلع على وجه كئيب من نعيها ، فيبعث في النفس الألم والأسى ، في الوقت الذي كنا نتفقدها ، عسى أن تطلع علينا بجديد من الشعر .

وإذا كان القبر قد احتوى على جثمانها فلعل لتلك الروح الشاعرة من هذه الكلمة ما يرضيها بعض الشيء . ولقد كانت « الرسالة » مجلتها الحبيبة في دنياها الأدبية ، فالآن تبعث الرسالة إليها هذه الباقة ، من حبيبة حزينة إلى فقيدة عزيزة .

السياسة العربية والتعاون الثقافي

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف قررت وقف ندب المدرسين المصريين للعمل في معاهد العراق ، وقال المحرر إن الوزارة اتخذت هذا الإجراء بعد دراسة مستفيضة ، وإن العراق أساءت معاملة المدرسين المصريين ، وإن ذلك القرار اتخذ بتوجيه من وزارة الخارجية المصرية على ضوء التطورات الأخيرة للعلاقات السياسية بين البلدين .

وذلك كلام غير صحيح ، ولا ندري لماذا يكتب ! فلم تقرر وزارة المعارف شيئاً في هذا الصدد ، ولم يطرأ على خطتها في التعاون الثقافي بينها وبين البلاد العربية أي تغيير . ولم يجد في العلاقات الثقافية بين مصر والعراق ما يجعل وزارة المعارف تدرس هذا الموضوع أية دراسة ، لا مستفيضة ولا غير مستفيضة ، ولم تتلق الوزارة أية شكوى من أي مدرس أسيء إليه في العراق . ولست أدري من أين أتت هذه الإشاعة المجيبة ، فقد لقيت عدداً من إخواننا المدرسين العائدين من العراق فلم أجد عندهم